ثمرات من النفحات

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، مازلنا مع الحج والحجيج، مازلنا في رياض منى وعرفات، مازلنا في نسيم مزدلفة وعبير مكة وضياء الحرم، مازلنا مع الحج نقطف ثماره عَلَّنا ننتفع بها.

أيها الإخوة المسلمون، قد أفردنا في أربع خطب ثمار الحج، ولو تكلمنا عن كل ثمرة في خطبة لأخذنا أسابيع كثيرة، ولكن سوف نتدارس بقية هذه الثمار باختصار غير مخل خشية التطويل الممل.

عباد الله، تكلمنا عن التوحيد وعلمنا أن شعار الحاج، وهتافه، وذكره يدل على كلمة التوحيد ونفى الشرك، ثم تكلمنا عن الموت الذي شعرنا به عندما غادر الحاج الدنيا تاركًا أولاده، تاركًا زوجه، تاركًا ملابسه، فتدبرنا هذا الأمر وعلمنا أن كلًا منا سوف يقوم بهذه الرحلة، ولكن لا يرجع مرة أخرى إلى الدنيا.

وعندما سمعنا قوله تعالى: ﴿ **وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ** ﴾ [الحج: ٢٧]، وقول الرسول ﷺ في الحج: (**خُذُوا عَنَى مَنَاسِكَكُمْ**)[1]، تكلمنا عن الدعوة إلى الله.

وها نحن اليوم نكمل هذه المواعظ وأسأل الله العلي الجليل أن ينفعني وإياكم بها.

أولًا: يسر الدين والشفقة على المسلمين:

وهذه ثمرة عظيمة، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ: (**فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ؛ إِلَّا قَالَ: افْعَلْ وَلَا حَرَجَ**)[2]، فرسولنا ﷺ كان بعد أن يأتي من مزدلفة يتوجه إلى منى يوم النحر لكي يرمي، ثم يذبح، ثم يحلق، ثم يطوف، ثم يسعى، وكان يأتيه المسلمون قائلين فعلت كذا قبل كذا؟ فيقول: (**افْعَلْ وَلَا حَرَجَ**)، فكل هذا إن دل على شيء إنما يدل على يسر الدين، ويدل على رحمة الرسول ﷺ بالمسلمين، ويدل على عظمة الإسلام، فهذه

---

[1] أخرجه البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى (9524)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (7882).

[2] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (124)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (1306).

ثمرة عظيمة عباد الله.

ولم لا؟ وقد قال تعالى ﴿ **وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾** ﴾ [الحجر: ٨٨]، فليرحم بعضنا بعضًا عباد الله، وإلا فمن يرحمنا؟!!

نحن أبناء عقيدة واحدة، وأبناء دين واحد، فإن لم يرحم بعضنا بعضا؛ فالويل لنا.

ويقول رسول الله ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**)[1].

فيا أيها المسلم المعتز بإسلامك ... ارحم إخوانك

فإن كنت مسئولًا؛ فارحم عباد الله،

وإن كنت أبًا؛ فارحم أولادك وأهلك بتعليمهم دين الله،

وإن كنتِ أمًّا؛ فارحمي أولادِك بتربيتهم التربية الإسلامية

يقول ﷺ كما في حديث ابن عمر: (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[2].

فلا تؤذ المسلمين ولا تسلمهم لمن يظلمهم

ثانيًا: الصدقة والجود

وثمرة أخرى عباد الله ، تتمثل في الصدقة والجود.

فكم من دماء تسال تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى!! فمن كان متمتعًا بالحج؛ فليذبح، ومن كان قارنًا؛ فليذبح، ومن قد ترك واجبًا؛ فليذبح، ومن ارتكب محظورًا؛ فله أن يذبح، ويا ترى كل هذه اللحوم وكل هذا الطعام أين تذهب؟ يذهب غالبه إلى الفقراء والمحتاجين.

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (2446)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (2585).

[2] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (2442)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (2580).

الله أكبر دين عظيم لم ينس المحتاجين.

دين عظيم لم ينس المساكين.

ولم لا، وقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)**[1].

ولكن آهٍ من شح النفس، وبخلها، وتركها ما ينفعها، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩**﴾ [الحشر: ٩].

اقطفوا معي أحباء رسول الله ﷺ ثمرة بعد ثمرة من هذا المنسك العظيم

ثالثًا: عظمة الإسلام

ألم تر إلى هذا الجمع العظيم المتفقين في مكان واحد ووقت واحد؟!!! لم تمنعهم الدنيا بزخارفها، ولا أعمالهم، ولا أولادهم، ولا نسائهم، ولا أي شيء على أن يأتوا لله خاشعين متواضعين قد أنفقوا الأموال وأجهدوا الأبدان ابتغاء الملك الديان.

فانظر إلى هذا الجمع وإلى الإسلام وإلى هذه العقيدة، وافخر واملأ قلبك، وروحك، ووجدانك فخرًا بأنك مسلم.

وَمِمَّا زَادَنِي عَجَبًا وَتِيهًا ... وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

افخر ولا تركن لهؤلاء المثبطين، افخر لا تركن لهؤلاء المحبطين.

افخر ولا تهتم بهؤلاء المنافقين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم في كل وقت وحين، فإن كل خلل مما ترى في المسلمين لا في الإسلام، ولكن وا أسفاه!!

هذا الجمع الهائل للمسلمين في شتى بقاع الأرض جمع بلا روح إلا من رحم الله وقد حققنا

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (1442)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (1010).

قول نبينا ﷺ الذ قال: (**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**)[1]، صدقت يا رسول الله، يا من لا تنطق عن الهوى.

نرجع عباد الله إلى ربنا سبحانه وننصره الله حتى ينصرنا، قال تعالى: ﴿ **إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧** ﴾ [محمد: ٧].

رابعًا: حجاب المرأة:

وخذوا هذه الأخرى عباد الله، اقطفوا وتدبروا معي، وتعمقوا في أغوار هذا النسك العظيم، إن من المقرر في شريعة الإسلام كما بين ﷺ: (**إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**)[2].

أي الأحكام التي تنطبق على الرجال هي نفسها التي تنطبق على النساء إلا إن صرفها صارف، ومع ذلك فالرجل يحرم عليه المخيط ويلبس الإزار والرداء، والمرأة لا تشترك معه في هذا الحكم، والرجل له أن يتطيب قبل الإحرام وبعده، والمرأة لا تشترك معه في الحكم.

دين حكيم عظيم حفظ المرأة

ولم لا؟ وقد سترها الله ﷻ وسترها رسول الله ﷺ، وسترها كل من كان في قلبه إيمان، وفي عقله حكمة، وفي أركانه دم حار يسيل، وفي أخلاقه نخوة، وفي طباعه اعتدال.

نعم عباد الله، سُتِرَتْ، ولكن مع الأسف خلعت ملابسها، وقد ساعدها في خلع ملابسها من لا أخلاق، ولا دين، ولا نخوة، ولا شهامة، ولا مروءة لهم، خلعوا ملابسها وأخذوا ينظرون ويتلذذون والكل محاسبون.

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (4297)، وسكت عنه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (4297).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (113)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (113).

خَدَعوها بِقَولِهِم حَسناءُ ... وَالغَواني يَغُرُّهُنَّ الثَناءُ

أما الله سبحانه وتعالى فقد قال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

خامسًا: التواضع:

مازلنا نسير سويًا في رياض الحج، فالثمار كثيرة ويانعة، فما هذه الثمرة الطيبة؟ إنها التواضع، نعم عباد الله التواضع فهاهم الحجيج جميعهم لا فرق بينهم كل منهم ترك ملابسه، وتنازل عن هيئته، ومشى بين الزحام، واحتك بإخوانه صاعدًا وهابطًا، متواضعاً لله سبحانه وتعالى.

ولم لا؟ وقد وجدنا ديننا وشرعنا يحثنا على التواضع يقول رسول الله ﷺ: (**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**)[1].

بل وإن الخلفاء الراشدين ساروا بسير نبيهم ﷺ متواضعين؛ فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد خرج مع أبي عبيدة بن الجراح، (**فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ، وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا، وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَّهْ، لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ، فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ، أَذَلَّنَا اللَّهُ**)[2].

---

[1] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (2588).

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك (207)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (117/1).

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: (**ينبغي ألا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك، وأن الفضل له على نفسك، فإن رأيت صغيرا؛ قلت: هذا لم يعص الله وأنا عصيته، فلا شك أنه خير مني، وإن رأيت كبيرا؛ قلت: هذا قد عبد الله قبلي، فلا شك أنه خير مني، وإن كان عالما؛ قلت: هذا قد أعطى ما لم أعط، وبلغ ما لم أبلغ، وعلم ما جهلت، فكيف أكون مثله؟! وإن كان جاهلا؛ قلت: هذا قد عصى الله بجهل، وأنا عصيته بعلم، فحجة الله علي آكد، وما أدري بم يختم لي وبم يختم له، وإن كان كافرا؛ قلت: لا أدري، عسى أن يسلم ويختم له بخير العمل، وينسل بإسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين، وأما أنا –والعياذ بالله– فعسى أن يضلني الله فأكفر، فيختم لي بشر العمل، فيكون غدا هو من المقربين، وأنا أكون من المبعدين**)[1].

وأيضًا من هذه المواعظ وهذه الثمرات التوكل على الله والإخلاص له سبحانه وتعالى، فالحاج تارك كل شيء، وقد توكل على الحي الذي لا يموت، مؤمنًا بثواب الله سبحانه وتعالى، مصدقًا بكتابه، موفيًا بعهده جل شأنه.

ولم لا؟ وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾** ﴾[النساء: ٨١].

وجد رجل إبراهيم بن أدهم سائرا على قدميه، والرجل يركب دابته فقال: (**إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج، قال: أين الراحلة؟ فإن الطريق بعيد، قال: لي مراكب كثيرة ولكن لا تراها، قال: ما هي؟ قال: إذا نزلت مصيبة؛ ركبت مركب الصبر، وإذا نزلت نعمة؛ ركبت مركب الشكر، وإذا نزل القضاء؛ ركبت مركب الرضا، وإذا دعتني نفسي إلى شيء؛ علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى، فقال: سر بإذن الله، فأنت**

[1] بداية الهداية (60/1)، لأبي حامد الغزالي رحمه الله.

الراكب وأنا الماشي)[1].

سادسًا: حسن المتابعة

ونهي عباد الله هذه الخطبة بهذه الثمرة اليانعة وهي من حسن المتابعة، فالحاج يطوف سبعًا، لِمَ؟ ويسعى سبعًا، لِمَ؟ ويحلق ويذهب إلى عرفة قبل المزدلفة ويبيت في منى ثلاثة أيام، لِمَ كل هذا؟ لِمَ كيفا ولِمَ عددا؟

هو الاتباع، هو النهج، هو اتباع رسول الله ﷺ

ولم لا؟ وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾** ﴾[آل عمران: ٣١].

فالرسول ﷺ هو القدوة، وهو المنبع، وهو القائد

ولكن وا أسفاه، اتبعنا من لا خلاق لهم، اتبعنا ما لا دين لهم، اتبعنا أولاد القردة والخنازير، اتبعنا الكافرين والمشركين، يقول رسول الله ﷺ: (**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**)[2].

أرأيتم عباد الله أي طريقة نتبع؟!! نتبع من كان قبلنا من غير المسلمين، يبين ﷺ دقة الاتباع شبرا وذراعا بذراع، وفي رواية أخرى: (**حَذْوَ الْقُذَّةِ**)[3]، أي الريشة (ريشة السهم) أي غاية الاتباع، حتى إذا دخلوا جحر ضب: ومن يستطيع أن يدخل جحر الضب؟! ولكن قالها ﷺ ليبين هنا قوة اتباعنا لغير المسلمين.

فهل دينكم عباد الله فيه احتفال برأس السنة؟ هل دينكم عباد الله فيه شرب الخمر، والسكر، والعربدة، والمجون، والخنوع؟ هل دينكم عباد الله فيه السهر، والرقص، وإطفاء الأضواء؟ ولكنه تقليد أعمى، والجهل المظلم، وفراغ العقل، وخراب الفكر، وعمه القلب،

[1] نزهة المجالس ومنتخب النفائس (79/1)، للصفوري رحمه الله.

[2] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (7320)، واللفظ له، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (2669).

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك (8448)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، ووافقه الذهبي رحمه الله.

واتباع الهوى، وميعة الأركان.

نترك اتباع أشرف المرسلين ... ونسير خلف هؤلاء المخنثين

نترك اتباع أشرف المرسلين ... ونسير سير (الماجنين)

نترك اتباع أشرف المرسلين ... ونركب ركب من لا خلاق لهم ولا دين

نترك جنات أنهارا فواكه حورا عذارى ... ونرتمي في أحضان الغواني والسكارى

والله ما أنصفنا عباد الله

فهيا بنا نرجع إلى الله سبحانه ونتبع رسول الله ﷺ نرجع إلى الطهر وإلى العفاف

وهكذا عباد الله أخذنا ثمرات وثمرات من هذه النفحات الطيبات الطاهرات علنا نكون ممن يستمعون من القول فيتبعون أحسنه.

هذا هو الحج، هذه هي المعاني، هذا هو الإسلام